بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة، منقحة بعنوان:

من أسرار وأنوار تشريف الله تعالى للزمان

فضل العشر الأوائل من ذي الحجة[1]

وكيف نتعرض لنفحات الله فيها؟

الأضحية.. معانيها ومراميها ومقاصدها الإيمانية والتربوية

الانتحار يأس من رحمة الله

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٣ ذي الحجة ١٤٤٦هـ / ٣٠ مايو ٢٠٢٥م

الحمد لله الذي أقام من كل موجود دليلاً على عزته، ونَصَبَ عَلَمَ الهدى على باب حجته، الأكوان كلها تنطق بالدليل على وحدانيته، وكل موافق ومخالف في الخلق يمشي تحت إرادته ومشيئته...

إن رفعت بصرَ الفكر ترى الفلك في قبضته، وتُبصر شمسَ النهار وبدرَ الدجى يجريان في بحر قدرته...

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ولي الصالحين، وقيوم السموات والأرضين..

وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، قال تعالى في شأنه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧)، فاللهم صلّ وسلِّم وزد وبارك على مبعوث العناية الإلهية، وشمس الهداية الربانية، خير الخلق عندك، وأكرمهم لديك، وأحبهم إليك، سيدنا محمد (ﷺ) الذي جاءنا بالبينات والذكر الحكيم.

(١) هذه الخطبة كُتبت بشكل تجديدي وإثرائي؛ للإسهام في زيادة وعي السادة العلماء والخطباء، في إطار تحقيق أهداف خطبة الجمعة التي حددتها وزارة الأوقاف وللسادة الأئمة والدعاة الاطلاع عليها ودراستها، واختيار ما يناسبهم منها..والله ولي التوفيق.

إذا ما شئتَ في الدّارين تَسعَدْ *** فأكثِرْ مِن الصلاةِ على سيدنا محمَّدْ
وإن شئتَ القبولَ في الدَّعوات *** فتَختِم بالصــلاةِ على سيدنا محمَّدْ
فلا صومٌ يَصــحُّ ولا صـــــلاةٌ *** لمَن تركَ الصلاةَ على سيدنا محمَّدْ
وإنْ كانت ذُنوبُـك ليس تُحصَى *** تُكفَّر بالصـــلاةِ على سيدنا محمَّدْ
فما تَتضاعَفُ الحسنـــــاتُ إلّا *** بتَكرارِ الصـــلاةِ على سيدنا محمَّدْ
وعندَ المـــــــوتِ ترى أمورًا *** تَسُرُّكَ بالصــلاةِ على سيدنا محمَّدْ
وعندَ القـــبرِ تَحْظى بالأمانِي *** وتُرحَم بالصــلاةِ على سيدنا محمَّدْ
ولا تَخْشى من المَلَكيـنِ رعبًا *** إذا سألاكَ قلْ لهُمَـــا سيدنا محمَّدْ
رسولُ اللهِ حقـًّا اتَّبعنـــَـــا *** وآمنـَّـــا وصَدَّقنـَـــا سيدنا محمَّدْ

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصيه الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ..) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد.. أيها المؤمنون في كل مكان:

من عظيم رحمات الله بالإنسان أنه لم يجعل الأيام تسير على وتيرة واحدة، أو على نحو رتيب يبعث الملل والرتابة في النفوس والعقول والقلوب، والحياة؛ بل إنه (جلَّ وعلا):

- نوَّعها
- وصنَّفها
- ومهَّدها
- وعبَّدها للحياة (للعبادات والمعاملات)
- وجعل فيها مواسم للعبادات والطاعات والأعياد؛ لتسعد القلوب والنفوس والأجساد والحياة بمنهج الله.

أشهر الحج، وأيام الحج، والأيام المعلومات، والأيام المعدودات

ولنا هنا وقفة توضيحية مع أشهر الحج، ومع أيامه، ومع الأيام المعلومات، والأيام المعدودات...

- **فأشهر الحج** أيها المؤمنون هى: **شوال، وذو القعدة، وذو الحجة**
- **وأيام الحج ستة أيام**، وهى: (يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، ويوم عرفة وهو اليوم التاسع، ويوم النحر وهو يوم العاشر، إضافة إلى أيام التشريق الثلاثة).
- **والأيام المعلومات هي العشر الأوائل من ذي الحجة**، قال تعالى: (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) (الحج:٢٧-٢٨).
- **أما الأيام المعدودات فهي أيام التشريق الثلاثة**، وهي المقصودة في قول الله تعالى: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (البقرة:٢٠٣)، وهي الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر من ذي الحجة.

فضل الأيام والأزمنة والأماكن

فضَّل اللهُ (سبحانه وتعالى) بعضَ الساعات على بعض، وبعض الأيام على بعض، وبعض الليالي على بعض، وبعض الشهور على بعض، وبعض الأماكن على بعض، وبعض الناس على بعض، ورفع بعض الأنبياء فوق بعض درجات، واصطفى من الأمم أمة سيدنا محمد (ﷺ)، واختصها بـ: سمات الخيرية، وصفات الرحمة، وخِلال الوسطية.

قراءة في تشريف اللّه تعالى للزمان

يعجب المؤمن من عظيم صنع الله (تعالى) وإتقانه، وإحكامه، وحكمته البالغة في كل أمر من أمور الحياة التي نعلمها والتي لا نعلمها، وبما يضمن صيرورة الأحياء والحياة والأكوان وفق ما أراده (جل وعلا)، فلا توجد ذَرَّة ولا أصغر منها أو أكبر إلا وقدَّر الله وضعها، وحدد دورها، ومستقرها، ومصيرها في هذه الحياة...

والناظر في تشريف الله (تعالى) للزمان يجد عجبًا عجابًا، وعظمة وجلالا في هذا التقدير الحكيم... ويوقن بأن عناية الله البالغة تشمل الإنسان على الدوام، وتربطه بالله بجميل الترغيب والمحبة وبشكل مستدام، ومن ذلك:

١. أنَّ الله تعالى شرَّف **ساعةً في جوف الليل وهي وقت السحر** لمناجاة الله وتقبُّل الدعاء:
جعلها الله وقتًا لا يُردُّ فيه سائل، ولا يُخيَّب فيه داع، وهي أقرب ما يكون العبدُ من ربِّه.

٢. أنَّ الله تعالى **شرف ساعةً في يوم الجمعة**، فجعلها ساعةً عظيمة يُستجاب فيها الدعاء، ولا يُرد فيها السائل، وقد أخفاها في اليوم ليتحرَّاها المؤمن، فيظلّ مقبلًا على ربّه برجاءٍ وتضرع وخشوع.

٣. أنَّ الله تعالى **شرف يوما** في الأسبوع وهو (**الجمعة**):
إنه عيد المسلمين وسيّد الأيام، فيه خُلق آدم، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة إجابة لا يُردُّ فيها الدعاء.

٤. أنَّ الله تعالى **شرف ليلةً في العام** وهي (**ليلة القدر**):
وهي ليلة مباركة.. ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، أُنزل فيها القرآن، وتتنزَّل فيها الملائكةُ بالرَّحمة والسَّلام.

٥. أنَّ الله تعالى شرَّف **يوما في العام** وهو (**يوم عرفة**):
يومُ العتق الأكبر، ويوم إكمال الدين، ويوم المغفرة وتكفير الذنوب.

٦. أنَّ الله تعالى شرَّف **يومين كريمين في العام** وهما: (**عيد الفطر وعيد الأضحى**)

٧. أنَّ الله تعالى شرَّف **شهرا** في العام وهو (**رمضان**):
شهرُ القرآن، والصِّيام، والقيام، والرَّحمات، والفُتوحات.

٨. أنَّ الله تعالى شرَّف **أياما هي تاج الزمان** (**عشر ذي الحجة**):
أحبُّ الأيام إلى الله، والعمل فيها أعظم أجرًا، ويوم عرفة فيها هو ذروتها، وخير أيام الدنيا على الإطلاق.

٩. أنَّ الله تعالى شرَّف **أيام التشريق الثلاثة**، وسيأتي تفصيل لها في السطور التالية.

لماذا أقسم اللّه بالفجر وليال عشر؟

أقسم الله (تعالى) بالفجر في مستهل سورة الفجر، جاء القسم به منفردًا، ومتبوعًا بأقسام أخرى، قال تعالى: (وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ. وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) (الفجر: ١-٤). والله (سبحانه) لا يُقْسِمُ إلا بشيء عظيم، مما يدل على عظمته وأهميته في منظومة الزمان والعبادة والدلالات الكونية.

وقسم الله بشيء من مخلوقاته، فيه تنويه بمكانته، وتنبيه للعقول إلى أهميته، والتدبر فيه. ومن ذلك قسمه (عز وجل) بـ:

- الشمس (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) (الشمس: ١).
- والقمر (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) (الشمس: ٢).

- والنهار (وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا) (الشمس: ٣).
- والليل (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا) (الشمس: ٤).
- والسماء (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا) (الشمس: ٥)، (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) (البروج: ١)، (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) (الطارق: ١).
- والأرض (وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) (الشمس: ٦).
- والنَّفس (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) (الشمس: ٧).
- والضحى (وَالضُّحَىٰ) (الضحى: ١).
- والتين (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) (التين: ١).
- كذلك أقسم بالفجر (وَالْفَجْرِ) (الفجر:١)، وهو وقت عظيم لما فيه من أسرار كونية وروحية، ومعانٍ إيمانية وأخلاقية.

فالفجر لحظة انبثاق النور بعد ليل طويل مظلم، كأنها وعد ربانِي بأن النور آتٍ مهما طال الظلام، وأن الفرج قادم مهما اشتدت الكربات.

وهذا المعنى يتكرر في سنن الله تعالى، **فكما يطلع الفجر بعد كل ليل، وبعد نوم، وبعد ثبات، وبعد ظلام؛ فإن لكل محنة نهاية، ولكل ظلم زوال، ولكل دولة طاغية كإسرائيل حد تقف عنده. ذلك لأن القسم بالفجر جاء في سياق سورة كريمة تتحدث عن مصائر الأمم، كعاد وثمود وفرعون، الذين طغوا وبغوا، فأهلكهم الله، وفي ذلك دلالة عميقة؛ إذ إن الفجر ليس فقط وقتًا زمنيا، بل هو رمز لبزوغ الحق بعد ظلمة الباطل، ولقيام العدل بعد امتداد الطغيان.**

فالفجر إيحاء بقدوم بزوال الظلم، وبدء عهد جديد... ومن هنا نسوق البشارة لكل المستضعفين من أهل في فلسطين الأبية، وللمستضعفين والمجاهدين في طول الأرض وعرضها، بأن نصر آت مهما فعل الطغاة.

والفجر، إذًا –أيها القارئ الكريم– ليس مجرد وقت من اليوم، بل هو:

– إعلان إلهي ببداية جديدة،
– وهو رمز لفجر الحق،
– وفجر العدل،
– وفجر الهداية.

كما أنه في حياة الفرد بداية جديدة كل يوم، يستفتحها المؤمن بالركوع والسجود والدعاء، ليبارك الله يومه ويسدد خطاه ومسعاه.

فرائد الفجر وخصائصه:

اختص الله (تعالى) وقت الفجر بفضل عظيم، فجعل فيه صلاة الفجر، التي تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار، كما قال تعالى: (...وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) (الإسراء: ٧٨)، وجعل رسول الله (ﷺ) صلاة الفجر في جماعة من أفضل الصلوات؛ لما فيها من الإخلاص ومجاهدة النفس، والصدق في العبادة.

كما أنه في وقت الفجر:

- تهدأ الدنيا.
- وتسكن النفوس.
- وتتصل الأرواح بخالقها في صفاء ونقاء.
- وهي لحظة يفيض فيها النور، لا في الأفق فحسب، بل في قلوب العُبَّاد، والزُّهاد، ومَن اصطفاهم الله بالولاية، والفضل، ومكارم الأخلاق.

إن مشهد الفجر في حد ذاته آية من آيات الله، يتبدل فيه الكون، وتتحرك الكائنات، وتتنفس الأرض، وتنبعث الحياة...

فسبحان مَن أقسم بهذه اللحظة البديعة التي تجمع بين الفضل الإلهي، والجمال الكوني، والدلالة الإيمانية.

لذلك إذا تأمل المؤمن الفجر بعين بصيرته، وبعيون قلبه وعقله، أدرك: لماذا رفعه الله إلى منزلة القسم، ولماذا جعله مفتتح سورة تتناول مصائر الأمم، وتدعو الناس إلى الرجوع إلى الله والتأمل في آياته.

وبعد هذا الاستهلال والجلال الخاص بالفجر، وكأنه تمهيد وتمجيد لما يأتي... يستكمل الجليل ذي الجلال والإكرام (جل وعلا) القسم بقوله تعالى: (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) وما تلاها.

ما المقصود بالليالي العشر، في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾؟

اختلف أهل التأويل في هذه الليالي العشر أيّ ليال هي؟، فقال بعضهم: هي ليالي عشر ذي الحجة، وقيل غير ذلك:

جاء في تفسير الإمام ابن كثير (رحمه الله) أن المراد بالليالي العشر: عشر ذي الحجة. كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وغير واحد من السلف والخلف.

وقال الإمام القرطبي (رحمه الله): وليال عشر أي ليال عشر من ذي الحجة. وهو ما قاله مجاهد والسدي والكلبي وابن عباس. وروى أبو الزبير عن جابر أن رسول الله (ﷺ) قال: (والفجر وليال عشر – قال: عشر الأضحى) **فهي ليال عشر على هذا القول؛ لأن ليلة يوم النحر داخلة فيه**، إذ قد خصها الله بأن جعلها موقفا لمن لم يدرك الوقوف يوم عرفة.

وجاء في تفسير البغوي (وليال عشر) أنه روي عن ابن عباس: أنها العشر الأول من ذي الحجة. وهو قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، والكلبي.

- وقيل: هي العشر الأواخر من شهر رمضان.
- وقيل: هي العشر الأوائل من شهر رمضان.
- وقيل: هي العشر الأول من المحرم التي عاشرها يوم عاشوراء.

ويحسم الإمام الطبري (رحمه الله) الخلاف بقوله: والصواب من القول في ذلك عندنا: أنها عشر الأضحى لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأن عبد الله بن أبي زياد القَطْوانيّ، حدثني قال: ثني زيد بن حباب، قال: أخبرني عياش بن عقبة، قال: ثني جُبير بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر، أن رسول الله (ﷺ) قال: "(وَٱلْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال: عَشْرُ الأضْحَى".

وَلَيَالٍ عَشْرٍ.. لماذا جاءت نكرة في السياق القرآني، ولماذا أضيفت؟

لماذا جاءت نكرة؟

"وإنما نُكِّرَت (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) ولم تُعَرَّف؛ لفضيلتها على غيرها، فلو عُرفت لم تستقبل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير، فنكرت من بين ما أقسم به، للفضيلة التي ليست لغيرها.

ولماذا أضيفت؟

عن ابن عباس (رضى الله عنهما): (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) (بالإضافة) يريد: وليالي أيام عشر".. والله أعلم [٢].

علو قدر عشر ذي الحجة

فلماذا فضّلها الله؟

فضَّل الله (سبحانه وتعالى) العشر الأوائل من شهر ذي الحجة، فجعلها موسمًا فريدًا للطاعات، تتجلى فيه نفحات الرحمة والفضل، ولأن **فيها تجتمع أمهات العبادات: الصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، وهي العبادات**

(٢) راجع تفسير الإمام القرطبي لقوله تعالى: "(وَٱلْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ).

التي لا تجتمع في غيرها من أيام السنة، فكانت بذلك ميدانًا شاملاً للعمل الصالح، الذي هو أحبُّ إلى الله في هذه الأيام من أي وقت آخر، حتى قيل إن العمل فيها أفضل من الجهاد، إلا من خرج بنفسه وماله فلم يرجع بشيء.

وهى أيام عظيمة أقسم الله (تعالى) بها في كتابه العزيز، وهى الأيام التى يُستحب فيها الإكثار من الذكر والتكبير والتحميد، وهى الأيام التى أكمل الله فيها الدين، ففى يوم عرفة منها نزل قول الله تعالى: (...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ...) (المائدة: ٣).

وقال السعدي (رحمه الله) في أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، **فما رئي الشيطان أحقر ولا أدحر منه في يوم عرفة، لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله لعباده**، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة لأنْ يُقْسِم اللهُ بها.

فيا سعدَ من اغتنم هذه الأيام، وجدَّ واجتهد، وتاجر مع الله في موسم العطاء، فإنها فرصة لا تُعوض، وعطية من الله لمن وفّق وسُدِّد...

وفيما يلى أبرز فضائل هذه الأيام المباركة:

١. اجتماع أمهات العبادات فيها.

فهى الأيام الوحيدة التى تجتمع فيها العبادات الكبرى أو كما قيل أمهات العبادات –كما أشرنا–، وهى: الصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، ولا يكون ذلك في غيرها من الأيام.

٢. أحب الأيام إلى الله تعالى

عن عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): (ما مِن أيَّامٍ العملُ الصَّالحُ فيها أحبُّ إلى اللَّهِ من هذِهِ الأيَّام يعني أيَّامَ العشر).

قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، ولا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ ؟

قالَ (ﷺ): (ولا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ، إلَّا رَجلٌ خرجَ بنفسِهِ ومالِهِ، فلم يرجِعْ من ذلِكَ بشيءٍ) (٣).

٣. أيام خيرات وبركات ونفحات وإجابة الدعوات

لشرف الزمان وفضل الأيام، يُضاعف فيها الأجر والثواب، وتُفتح فيها أبواب الرحمة والمغفرة.

قال رسول الله (ﷺ): (إنَّ لِربِّكم عزَّ وجلَّ في أيَّامِ دهركم نَفَحاتٍ فتعرَّضوا لها لعَلَّ أحَدَكم أنْ تُصيبَه منها نَفحةٌ لا يشقى بعدَها أبدًا) (٤).

٤. فيها يوم عرفة

وهو اليوم التاسع، وهو أفضل أيام السنة، ويكفر صيامه سنة ماضية وسنة مقبلة، يقول النبى (ﷺ): (...صِيَامُ يَومِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ علَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ...) (٥).

٥. فيها أعظم الأيام: يوم النحر

وهو اليوم العاشر من ذي الحجة، وهو يوم عيد الأضحى، قال النبى (ﷺ): (إنَّ أعظَمَ الأيامِ عندَ اللهِ يومُ النحْرِ، ثم يومُ القَرِّ. وهو اليومُ الثاني) (٦).

---

(٣) أخرجه أبو داود واللفظ له، وأخرجه البخاري باختلاف يسير

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٦) أخرجه الإمام أبو داود بإسناد جيد.

وهكذا فإن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم **النحر**، وهو عاشر ذي الحجة، ثم يوم **القَر**، وهو ثاني يوم النحر، وسمي بذلك؛ لأن الحجيج يقرون فيه بمنى بعدما أدوا أعمالهم، وليس لهم أن يغادروا منى في هذا اليوم.

٦. الذكر فيها مستحب ومندوب

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ. ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ. ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) (الحج: ٢٥-٣٠).

وكان الصحابة يُكثرون من التكبير والتهليل والتحميد فيها، في البيوت والأسواق والمساجد.

٧. فرصة للتوبة والرجوع إلى الله

هذه الأيام فرصة من الله تعالى، للتوبة والمغفرة ورفع الدرجات.

٨. فيها يجهز المضحي أضحيته

كما سنوضح تفصيليًّا في السطور القادمة.

٨. يليها أيام التشريق:

- وسميت بأيام التشريق لأن الحجاج كان يشّرقون فيها لحوم الأضاحي أي يقطعونها قطعا صغيرة ويعرضونها للشمس؛ أي يقددونها، لكي تجفَ وحتى لا تفسد. ومن فضائل أيام التشريق أن النبي (ﷺ) قال: (أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ) وفي رواية: زاد فيه (وذكرٍ لله)[٧]، فلا يجوز صومها إلى لمن لم يجد الهدى في الحج. وفيها يجتمع للمؤمنين نعيم أبدانهم بالأكل والشرب، ونعيم قلوبهم بالذكر والشكر، فهي أيام أكل وشرب والإسلام إذًا يريد مسلمًا تجري في عروقه دماء الصحة، والقوة، والسلامة، والعافية، والأخلاق، والإتقان، والإحسان. عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: (الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ (لو) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) [٨] فالأمَّة بحاجةٍ إلى المؤمن القويّ في عقيدته، القوي في أخلاقه، القويّ في صلته بالله، القويّ في علمه وعمله وإبداعه، القوي في مهاراته وخبراته وجداراته، القوي في احترام مخلوقات الله، القوي الحفاظ على وطنه ومقدراته، القوي في جميع مناحي الحياة..
- فمن استعان بنعم الله تعالى على طاعة الله، وتقوى الله، ورضا الله، ومرضاة الله فقد فاز وحاز رضا الله في الدنيا والآخرة.
- ومن استعان بنعم الله على معصية الله وعلى إيذاء خلق الله فقد باء بالخسران المبين..

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(٨) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

مراتب الصيام في الأيام التسعة الأولى من ذي الحجة

مراتب الصيام في الأيام التسعة الأولى من ذي الحجة تتفاوت بحسب نية الصائم واجتهاده، وفيما يلى بيان مراتبها من الأعلى إلى الأدنى كما قال بعض العلماء:

المرتبة الأولى: صيام الأيام التسعة جميعها

أن يصوم المسلم الأيام التسعة من أول ذي الحجة إلى يوم عرفة، بنيّة التعبد لله تعالى، وطلبًا لثوابه، دون أن يربط ذلك بكفارة أو نذر، وهذه أعلى المراتب، وأفضلها.

المرتبة الثانية: صيام يوم وإفطار يوم، مع صيام يوم عرفة.

أن يصوم يوما ويفطر يوما، ويخصّ يوم عرفة (التاسع) بنية تكفير الذنوب، لقول النبى يقول النبى (ﷺ): (...صِيَامُ يَومِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ علَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِى قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِى بَعْدَهُ...) [٩].

المرتبة الثالثة: صيام الاثنين والخميس مع صيام يوم عرفة

فمَن لم يستطع صيام كل الأيام، فليحرص على الاثنين والخميس من هذه الأيام مع صيام يوم عرفة، وقد قال أهل العلم: "القليل المستمر خير من الكثير المنقطع" .

المرتبة الرابعة: صيام يوم عرفة فقط

صيام يوم عرفه وحده يكفّر سنتين بإذن الله، كما في الحديث الشريف الذي أشرنا إليه من قبل.

كيف نستثمر هذه الأيام المباركات؟

يقول تعالى: (وفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين:٢٦)،وقال تعالى: (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين) (آل:عمران:١٣٣).

برنامج العبادة في العشر وفي غيرها

أولًا: تجديد النية والإقبال على الله بصدق، والتوبة النصوح.

ثانيًا: الإكثار من الصلاة المفروضة والنوافل بخشوع وخضوع لله رب العالمين.

ثالثًا: الصيام خصوصًا يوم عرفة.

رابعًا: الذكر الكثير: تكبير وتهليل وتحميد واستغفار وتسبيح وصلاة على سيدنا النبى (ﷺ).

خامسًا: قراءة القرآن والتدبر في مبانيه ومعانيه ومراميه ومقاصده.

سادسًا: الدعاء والتضرع

سابعًا: بذل الصدقة على الفقراء والمساكين

ثامنًا: بر الوالدين وصلة الرحم

تاسعًا: إصلاح القلب مع الناس

عاشرًا: الاستعداد للأضحية (لغير الحاج)...

وغيرها من صنائع المعروف وهى كثيرة جدا... منها: شكرُ المنْعِم على إنعامِه، إكرامُ الزوجة، وبذلُ الصَّدقة، ومساعدةُ الضُّعفاء، وبذلُ القَرض الحسَن، وإنْظارُ المعسِر حتَّى يُيسِّر اللهُ له، وتَفريجُ الكروب، وتأمينُ الخائفين، وجبرُ الخواطر، والإحسانُ إلى الجار، والعطفُ على الفقراء، ورعايةُ اليتامى، وعيادةُ المريض، وحفرُ الآبار، وزراعةُ الأشجار المثمِرة وأشجار الظلّ في الصحراء، وتَعبيدُ الطُّرق، وإماطةُ الأذى عن طريق الناس والمخلوقات، وبناءُ المدارس والمساجد والمشافي، وكفالةُ الأرامل والمساكين، ورعايةُ اليتامى، والأمرُ بالخير، والإمساكُ عنِ الشَّر،

(٩) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

والإسهامُ في علاج المرضى الفقراء، وتعليمُ الجاهل، والإحسانُ إلى الوافدين والسائحين والزوار وأبناء السبيل، وإرشادُ الحائر، وهدايةُ الضال، ونُصرةُ المظلوم، وكفُّ الظالم عن ظلمه، وإغاثةُ الملهوف، وإقامةُ العدل بين الناس، والإصلاحُ بين المتخاصمين، والكلمةُ الطيبة، وزيارةُ القبور، وإعانةُ الرجل للركوب على دابَّته أو مساعدته في رفع الأحمال عليها، ويقاسُ عليها مساعدتُه في إصلاح وسائل السَّفر التى تَتعطَّل على الطريق، ومراعاةُ مشاعر الناس، والتخفيفُ عمَّن ولّاكَ الله أمرَهم في عملك أو بيتك وعدمُ تَحميلهم ما لا يطيقون، وتبسُّمُك في وجه أخيك، وإطعامُ الجائع، والرفقُ بالحيوان وعدمُ تَحميله ما لا يطيق، ومراعاةُ مشاعره ونَجدةُ المظلومين، وقَمعُ الباغين، والحفاظُ على ثُغور الوطن وحدودِه، والدِّفاعُ عن قضاياه ومُكتَسَباته، والحفاظُ على المال العام والخاص.

إنها أيام ذِكر والذِّكر له أسرار وأنوار وفضله عظيم

الذِّكرفي عشرِ ذي الحجة من أحب القربات، ومن أعظم أبواب الأجر، وهو عبادة سهلة عظيمة الأثر، لا تحتاج مالًا ولا جهدا كبيرا... والذِّكر يطهر القلب، ويزيد الإيمان، ويشرح الصدر، ويقرب العبد من الله.

إن ذكر الله فيه:

- حياة للقلوب
- وطمأنينة للصدور
- وسكينة للنفوس

يقول الحق سبحانه: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا.هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) (الأحزاب٤١-٤٣)، ويقول سبحانه: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (الأحزاب: ٣٥).

ويقول: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللهَ قِيَامًا وَّقُعُوْدًا وَّعَلٰى جُنُوْبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُوْنَ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

ويقول تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد: ٢٨)، أي: تسكنُ، وتستأنسُ بجلال الله؛ فتطمئن، ومن ثم يزول قلقها، واضطرابها، **وقد وردت هذه الآية في سورة الرعد، والرعد مخيف، فجاءت الآية العظيمة لتبثَ الأمل، والتفاؤل، والطمأنينةَ، والسكينةَ في قلوب الذاكرين.**

ويقول النبي (ﷺ): (ألا أُنبِّئكم بخيرِ أعمالِكم، و أزكاها عند مليكِكم، وأرفعِها في درجاتِكم، وخيرٌ لكم من إنفاقِ الذهب و الوَرِقِ، وخيرٌ لكم من أن تلْقَوا عدوَّكم، فتضربوا أعناقَهم، ويضربوا أعناقَكم ؟ ذكرُ اللهِ) (١٠).

معاني ذكر الله للذاكرين:

وذكرُ الله تعالى من **أقوى الروابط التي تربط الذاكر بمولاه**؛ فهو من خير الأعمال وأزكاها عند الله، ومن مصادر استجلاب رحماته، ونيل محبته ومعيته، وفتح خزائنه وكنوزه... قال تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) (البقرة: ١٥٢)؛ (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ).

- وإذا ذكرك الله (عز وجل)، منحك **الحكمة**، وهي من أعظم عطاءات الله أن تكون حكيماً، يقول تعالى: (وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) (البقرة: ٢٦٩).
- وإذا ذكرك الله (عز وجل)، أعطاك **السكينة**، فتسعد بها ولو فقدت كل شيء، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء.

(١٠) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير – صحيح، وأخرجه الترمذي في سننه.

- إذا ذكرك الله (عز وجل)، **أعطاك الرضا**.
- إذا ذكرك الله (عز وجل)، **أعطاك قوة الشخصية وقوة في الحق**، فلا تنافق؛ لأن مصيرك مع الله عز وجل لا مع غيره.
- إذا ذكرك الله (عز وجل)، منحك الأمن والأمان والإيمان.
- إذا ذكرك الله **فهمك الحق والحقيقة**، **منحك التأييد**، **منحك النصر**..
- إذا ذكرك الله **منحك الرحمة بكل مفردات الطبيعة والكون**....

لذلك يجب أن نُكثر من ذكر الله تعالى بكل جوارحنا، ونستحضر عظمته، وقدرته، وجلاله على الدوام.

ولا تحسبن أن الوقتَ الذي تقضيه في الذكر ضائعٌ، كلا؛ بل هو باعث الأمل والعمل في النفوس الهامدة، وجابر الخواطر المنكسرة، وناثر بذور السكينة في الصدور، ومحرك ينابيع الحكمة في العقول، والقلوب... ويا له من خير عميم!

الذكر يُسعد النفس والقلب، ويوحد قوة الروح، وقوة الجسد، ويجعل حياة الإنسان خالية من الأسى، والنكد، والتشاؤم يرضى الرحمن، ويطرد الشيطان، وينير الوجه والقلب، ويجلب الرزق، ويورث الذاكر المهابة، والنضارة، والمحبة، والمراقبة، والإنابة،ويفتح للإنسان بابا عظيما من أبواب معرفة الله، والذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده، ويسعى بين يديه على الصراط.

والذكر إما أن يكون باللسان أو بالقلب، وإما أن يكون بهما معا وهو أفضل الذكر، إذ يثمر المعرفة بالله، ويهيج المحبة، ويثير الحياء، ويبعث على مخافة الله، ويرسخ مراقبة الله على الدوام.

والذكر إما أن يكون ذِكر ثناءٍ مثل: «سبحان الله وبحمده»، وذِكر دعاءٍ مثل: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» وذِكر رعايةٍ مثل: (الله معي والله ناظر إلي).

والذكر إما أن يكون سرًّا أو جهرًا، والجهر بالذكر أفضل بشرط أن يكون خاليا من الرياء، وألا يؤدي إلى التشويش على مُصَل أو قارئ، وألا يؤذي نائم، يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خير منهم. والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر.

وأفضل أنواع الذكر هو القرآن الكريم، وأفضل الذكر بعد القرآن الكريم هو: "لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمد وهو على كل شيءٍ قديرٌ، لا إله إلا اللهُ وحده".

ومن ذِكره (سبحانه وتعالى): ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه، ومواقع فضله على عبيده، وهذا أيضا من أجلّ أنواع الذكر.

وقد جعل الله (تعالى) حلقاتِ الذكر روضاتٍ من رياض الجنة، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): (إذا مررتُمْ برياض الجنةِ فارْتَعُوا قالوا: وما رياضُ الجنةِ؟ قال: حِلَقُ الذكر) (١١).

كما أن الله (سبحانه) يوكل ملائكة يلتمسون أهل الذكر، ويبحثون عنهم.

وقال العلماء للذكر فائدتان:

فائدة تطهيرية: فالذاكر لا يكذب، لا يشك، لا يغتاب، لا ينحرف، لا يغش، لا يسرق، لا يشهد شهادة زور، لا يكسر القلوب.

وفائدة تعطيرية، فالذكر يعطر الذاكر بالتواضع والرضا والحلم والرحمة والفرح والسرور والسكينة، ومعية الرحمن (جل وعلا).

فقد جرت سنة الله الماضية أنه بعد كثير من العبادات يكون الذكر: فعلى سبيل المثال:

*عند الانتهاء من الصلاة جاء الأمر بالذكر، قال تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ) (النساء: ١٠٣).

(١١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير– حسن.

**وعند الانتهاء من صلاة الجمعة أوجب الله الذكر، قال تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الجمعة: ١٠)

***وبعد الانتهاء من الوقوف بعرفات يكون الذكر: قال تعالى: (فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ) (البقرة: ١٩٨)

***وعند الانتهاء من مناسك الحج أمر بالذكر فقال تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) (البقرة: ٢٠٠).

كيف يتصدق الفقراء؟ والنبي (ﷺ) يقدم (العلاج البديل)

قصة شكوى فقراء الصحابة من عدم قدرتهم على الصدقة

عن أبي ذر الغفاري (رضى اله عنه) أنَّ ناسًا مِن أَصْحَابِ النَّبِيّ قالوا للنَّبِيّ (ﷺ): يا رَسولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالأُجُورِ؛ يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كما نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ.

قالَ: (أَوَليسَ قدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ما تَصَّدَّقُونَ؟ إنَّ بكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بالمَعروفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عن مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ).

قالوا: يا رَسولَ اللهِ، أيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكونُ له فِيهَا أَجْرٌ؟

قالَ: (أَرَأَيْتُمْ لو وَضَعَهَا في حَرَامٍ، أَكانَ عليه فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذلكَ إذَا وَضَعَهَا في الحَلَالِ كانَ له أَجْرٌ) (١٢).

كان الصَّحابةُ (رَضِيَ اللهُ عنهم) لِشدَّةِ حِرصِهم على الأَعمالِ الصَّالحةِ، وقوَّةِ رَغبتِهم في الخيرِ؛ يَحزَنونَ على ما يَتعذَّرُ عَليهم فِعلُه مِنَ الخَيرِ ممَّا يَقدِرُ عليهِ غيرُهم، فَكانَ الفُقراءُ يَحزَنونَ على فَواتِ الصَّدقةِ بالأموالِ الَّتي يَقدِرُ عَليها الأَغنياءُ، ويَحزَنونَ على التَّخلُّفِ عن الخُروجِ في الجِهادِ؛ لِعدمِ القُدرةِ على آلتِه، كَما قالَ تعالَى: (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) (التوبة: ٩٢) .

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ الصَّحابيُّ الجَليلُ أَبو ذرّ الغِفاريُّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ ناسًا مِن فُقراءِ أَصحابِ النَّبيّ (ﷺ) قالوا له: "يا رَسولَ اللهِ، ذَهبَ أَهلُ الدُّثُورِ بالأُجورِ"، أي: استَأثَرَ أَصحابُ الأَموالِ الكثيرةِ بمَزيدٍ مِن الأَجرِ مِن اللهِ سُبحانه، وأَخَذوهَا عنَّا ممَّا يَحصُلُ لَهم مِن أَجرِ الصَّدقةِ بأَموالِهم، "يُصلُّون كَما نُصلِّي، ويَصومونَ كَما نَصومُ، ويَتصدَّقونَ بفُضولِ أَموالِهم"؛ وهذِه شَكْوَى غِبطةٍ، لا شَكوى حَسدٍ، وَلا اعتِراضٍ على اللهِ عزَّ وجلَّ، ولَكنْ يَطلُبونَ فَضلًا يَتميَّزونَ به عمَّن أَغناهُم اللهُ؛ فتَصدَّقوا بفائضِ أَموالِهم، فَدلَّهُمُ النَّبيُّ (ﷺ) على صَدقاتٍ يَقدِرونَ عَليها، فَقالَ النَّبيُّ (ﷺ): (أَوَليسَ قدْ جَعَلَ اللهُ لَكُم ما تَصَّدَّقونَ؟!)، أي: تَتَصَّدَّقونَ به، (إنَّ بكُلِّ تَسبيحةٍ صَدقةً)، أي: قَولِ: سُبحانَ اللهِ، يَحتسِبُ عليه أَجْرًا صَدقةٌ للمُسبِّحِ، (وكُلِّ تَكبيرةٍ صَدقةً)، أي: قَولِ: اللهُ أَكبرُ، (وكُلِّ تَحميدةٍ صَدَقةً)، أي: قَولِ: الحَمدُ للهِ، (وكُلِّ تَهليلَةٍ صَدقةً)، أي: قَولِ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، (وأمرٌ بالمَعروفِ صَدَقةٌ) يَحتسِبُ عليه أجرًا، والمعروفُ: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما عُرِف مِن طاعةِ اللهِ تعالَى، والإحسانِ إلى النَّاس. (ونَهيٌ عن مُنكَر) يَحتسِبُ عليه أجرًا (صَدقةٌ) للنَّاهي، والمنكَرُ: هو كلُّ ما قَبُح مِنَ الأفعالِ والأقوالِ وأدَّى إلى مَعصيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وهو اسمٌ شاملٌ لجميعِ أبوابِ الشَّرِّ.

ثُمَّ أخبَرَهم النَّبيُّ (ﷺ) أنَّ الرَّجلَ إذا أَتى امرأَتَه –وهو كِنايةٌ عن جِماعِ الرَّجلِ زَوجتَه ومُعاشرتِها– فإنَّ ذلكَ يكونُ صَدقةً، فتَعجَّبوا، وَقالوا: يا رسولَ اللهِ، أيَأتِي أَحدُنا شَهوتَه مِن الجماعِ، ويَكونُ لَه فيها أَجرٌ؟! فَقالَ النَّبيُّ (ﷺ): (أَرأيتُم لَو وَضعَها في حَرامٍ، أكانَ عليه فيها وِزرٌ؟) يَعني: لَو زَنى ووَضَعَ الشَّهوةَ في الحَرامِ؛ هلْ يَكونُ عَليهِ إثمٌ وعُقوبةٌ؟ فكَذلكَ إذا وَضَعَها في الحَلالِ كانَ له أَجرٌ؛ فإنَّ المُباحاتِ تَصيرُ طاعاتٍ بالنِّيَّاتِ الصَّادقاتِ.

(١٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

وفي روايةٍ لمُسلم عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه: (فرجَعَ فُقراءُ المهاجرينَ إلى رسولِ اللهِ (ﷺ)، فقالوا: سَمِعَ إخوانُنا أهلُ الأموالِ بما فعَلْنا، ففَعَلوا مِثلَه، فقال رسولُ اللهِ (ﷺ): (ذلك فضْلُ اللهِ يُؤتيهِ مَن يَشاءُ) (١٣).

وهكذا يُستحب للمسلم أيضا أن يُكثر من الذكر والتسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، وقراءة القرآن، والصلاة على النبي (ﷺ) في هذه الأيام، وفي غيرها؛ لنرقى علاقتنا بالواحد الديان..

إنها أيام تكبير

أنواع الذكر المستحب في العشر

١. **التهليل:** لا إله إلا الله
٢. **التكبير:** الله أكبر
٣. **التحميد:** الحمد لله
٤. **التسبيح:** سبحان الله

التكبير في العشر نوعان

- تكبير مطلق لمدة (ثلاثة عشر يوما): يبدأ من أول ذي الحجة إلى غروب شمس آخر أيام التشريق (١٣ ذي الحجة).
- تكبير مقيد لمدة (خمسة أيام): يبدأ بعد الصلوات المفروضة من فجر يوم عرفة ويوم العيد حتى عصر يوم الثالث عشر.

ولكن هناك بعض الناس يذكرون وبعض الناس يكبرون ولكنهم ما كبروا!!

هؤلاء ما قالوا: الله أكبر!

في أيامٍ عظيمةٍ تُرفع فيها الأصوات بالتكبير، ويعلو النداء: "الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد"...

في هذه العشر المباركة التي عظّمها الله وشرّفها، لا يكون التكبير مجرد ألفاظ تُقال، بل ميزانًا تُوزَن به القلوب، وتُختبَر به المواقف، وتُعرف به حقيقة العبودية لله!

فليس كلّ من قال "الله أكبر" قد قالها حقًا، بل الحقّ أن "مَن عظَّم اللهَ أطاعَهُ، ومَن أطاعَ الهوى ما كبّر اللهَ في قلبه، وإن ردّدها ألفَ ألفَ مرّة!".

فعلى سبيل المثال: ما قال "الله أكبر" حقًّا..

- مَن يُطيعُ مخلوقًا ويعصى الخالقَ، ما قال "الله أكبر" ولو رددها أَلْفَ أَلْفِ مرّة.
- مَن يقدّم شهوته على طاعة ربه، ما قالها بصدق.
- مَن يؤخّر الصلاة من أجل مسلسل أو مباراة، ما عظّم بها ربَّه.
- مَن يبيع دينه بدراهم معدودة، ما رفع بها قدر الله في نفسه.
- مَن يخشى الناس ولا يخشى الله، ما ذاق طَعم "الله أكبر".
- مَن يظلم الناس وهو يعلم، ما كبّر الله في ضميره.
- مَن يعصى الله في الخلوات، ما عظّم الله حين كبّره.
- مَن يستهين بالنظر إلى المحرّمات، ما قالها وهو صادق.

(١٣) https://dorar.net/hadith/sharh/٢٠٠٨٩

- مَن يقطع رحمه ويتكبر على أهله، ما عرف معنى "الله أكبر".
- مَن يُداهن في دينه ويجامل في حرمات الله، ما خاف الله وهو يرددها.
- مَن يبيع الخمر أو الربا أو المحرّمات، ما خاف الله وهو ينطقها.
- مَن يشتم الناس ويؤذي الجيران، ما رفع "الله أكبر" من قلبه.
- مَن لا يغضّ بصره ولا يضبط لسانه، ما خاف الله حين كبّره.
- مَن يُفرّط في الصلوات، وينام عن الفجر، ما قالها بوعي.
- مَن يرضى بالمنكر في بيته، ويخشى كلام الناس أكثر من الله، ما عظّم الله يومًا.
- مَن يأكل أموال الناس بالباطل، ما كبّر الله في قلبه.
- مَن يشهد الزور ويُروّج الشائعات، ما عرف قدر "الله أكبر".
- مَن ينافق في عمله، ويخدع الناس، ما قالها من قلبه.
- مَن يُقصّر في حق والديه ويعقّهم، ما كبّر الله في نفسه.
- مَن يُقدّم الدنيا على الآخرة، ويبيع آخرته بلذّة عابرة، ما قال "الله أكبر" بصدق.

"الله أكبر" ليست كلمة، بل عقيدة.

"الله أكبر" ليست صوتًا، بل ميثاق.

"الله أكبر" ليست شعارًا، بل سلوك.

فيا مَن كبّرت الله في هذه العشر: اجعل تكبيرك تصديقًا بالأعمال، لا تزويقًا بالأقوال.

كبره في قلبك، وصدّقها بطاعتك، ثم كبّر، فإنك إن صدَّقت، علت منزلتك، وكان لك في كل "الله أكبر" أجرٌ لا يُحصى. فيا من كبّرت الله بلسانك...كبّره في قلبك وسلوكك.

اجعل "الله أكبر" منهج حياة، وشعار توبة، ودليل خضوع وخشوع.

تذكّر أن الله لا ينظر إلى حلاوة صوتك في التكبير، بل إلى خشوع قلبك، واستقامتك، وصدقك في قوله: "الله أكبر" اجعل تكبيرك إعلان ولاءٍ لله، ورفض لكل ما سواه.

اجعلها صوتًا عاليا يصمّ أذنك عن المعصية، ويوقظ قلبك من الغفلة، ويُقيمك على صراط الله المستقيم.

في هذه الأيام التي أقسم الله بها، وأحب فيها العمل الصالح، وشرّفها بالتكبير، لا تكن من أولئك الذين "قالوها ولم يعقلوها"، بل كن من الذين إذا كبّروا، خضعوا، وإذا كبّروا، استقاموا، وإذا كبّروا، استحقوا القبول.

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتَعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢) أما بعد..

قراءة في ابتلاءات أبي الأنبياء وإمام المبتلين الأضحية.. معانيها ومراميها ومقاصدها التربوية [١٤]

الأضحية لفظة حُبلى بالمعاني السامقة تشع نورا وسرورًا، ولها وقع جليل على القلوب والنفوس.. إنها رمز للفداء وصبر على البلاء واقتداء بأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام.. كما ترمز إلى الامتثال والطاعة.. والرضا والتسليم.. واحترام أقدار الله في الخلق والكون والحياة.. وتعني صدق الصبر وصبر الصدق مع اللطيف

١٤ راجع: معاني الأضحية ومقاصدها التربوية للدكتور أحمد علي سليمان، مجلة الأزهر، عدد ذي الحجة ١٤٤١هـ/ أغسطس ٢٠٢٠م، ص ١٩٦٩-١٩٧٣.

الجليل... وتعنى الفرج والفرح.. الإيثار، والبعد عن الأنانية، والتكافل والرحمة والتوسعة على أصحاب العوز والفاقة.. إنها حقا السعادة والإسعاد بفضل الله..

وعندما يَهلُّ علينا شهرُ ذي الحجة، تَحِلُّ علينا النفحات والبركاتُ ونتنسم ذكريات غالية، تدفعنا دفعا للتأمل والتدبر في ابتلاءات خليل الرحمن أبي الأنبياء وإمام المبتلين، والاقتداء به في صبره على البلاء العظيم.. ويحدونا الشوق والحنين إلى زيارة البيت الحرام.. تهفو النفوس وتشتاق القلوب إلى زيارة المصطفى (ﷺ).

الأضحية في ضمير الزمان:

إن الابتلاء المقرون بالصبر والتسليم والتأدب مع الله والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه هو طريق النجاة.. والأضحية تذكرنا دوما بالابتلاء العظيم؛ وتعيد الذاكرة الجمعية للأمة إلى أنواع فريدة وجليلة من الابتلاءات.. ولقد ابتلى الله تعالى سبحانه وتعالى سيدنا إبراهيم (عليه السلام) ابتلاءات عظيمة، حيث ابتلاه في ولده إسماعيل

ابتلاءين كبيرين:

- فبينما هو شيخ كبير ظل يرقبه في ضمير الزمان مدة طويلة، إذ به يؤمر بأن يودعه في مكان موحش هو وأمه، حيث لا أنيس ولا ونيس غير الله، بوادٍ غير ذي زرع.. لا ماء ولا غذاء في تلك البقعة الجرداء..!! وتقول زوجته السيدة هاجر: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذًا لن يُضَيِّعنا الله.. ويمر الوقت، وينفد الماء والزاد.. الصغير يبكى جوعًا وعطشًا.. وقلب الأم يبكى.. بكاء الرضيع يزيد.. ويقينها في ربها يزيد.. فإذا بها تندفع وتجري بين الصفا والمروة.. تنظر يمينًا ويسارًا.. تنظر إلى الأمام وإلى الخلف، فلا تجد شيئًا إلا الثقة بالله.. وكلَّما اقتربت من رضيعها ازداد تألُّمها.. حرارة الشمس شديدة، والرضيع لا يفتر عن البكاء.. تندفع بين الصفا والمروة مرة ثانية عساها تجد ما لم تجده في جولتها الأولى، وأخذت تتردد سعيًا بينهما رجاء الفرج، وهى بعيدة عنه بجسدها دون قلبها، حتى إذا هلك يهلك وهى بعيدة عنه ولا تراه..!! لم تيأس من روح الله.. بل ظلت تسعى واليقين في الله حليفها.. ولما بلغت شوطها السابع فإذا بلطف الله يأتيهما.. نظرت من بعيد؛ فإذا بها تجد عينًا تتفجر في وسط الرمال!! ويا لها من كرامة كبرى تخطت حدود الزمان والمكان والحال!! فهرعت إليه لتروي ظمَأَه وظمَأَهَا الذي كاد أن يُودي بهما.. إنها زمزم التى تعد شاهد عيان على مكافأة الله للممتثلين لأوامره الصابرين على بلائه؛ لذلك شُرِعَ السعى بين الصفا والمروة، وجُعِلَ شعيرة من شعائر الحج، وكذلك الشرب من ماء زمزم.
- ولما بلغ إسماعيل أشده إذا بابتلاء آخر ينتظره وينتظر أباه؛ إذ رأي إبراهيم في منامه أن الله تعالى يأمره بذبح ولده إسماعيل، قال تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (الصافات:١٠٢).

وهنا يتجلى الأدب الرفيع العالي.. أدب إبراهيم مع ربه جل وعلا، وأدب إسماعيل مع أبيه عليهما السلام.. إبراهيم يريد أن ينفذ أمر الله بذبح ابنه الوحيد الذي جاءه بعد شوق طويل!! وإسماعيل يضرب أروع الأمثال في الصبر على البلاء وطاعة الآباء، والتأدب مع والده.. فقال: يا أبت –ولم يقل يا أبي– زيادة في الأدب والتبجيل والتعظيم له.. لم يعترض.. لم يهرب.. لم يتلفظ ببنت شفه تغضب ربه أو أباه، بل سلَّم الأمرَ كله لمولاه!!.

ويا ليتنا نتعلم هذه المعاني من أخلاق الأنبياء، ومن كتاب الله الخالد الذي صوَّر هذا المشهد البالغ الدقة، بقول الله تعالى: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) (الصافات:١٠٣-١٠٧).

وهكذا لما امتثل الولدُ والوالدُ لأمر الله؛ كان الجزاء هذا الفداء المهيب الذي لم يأت من الأرض، بل نزل من السماء.. من أجل ذلك شرعت الأضحيةُ في الإسلام، وجعل الله ثوابَهَا عظيمًا ونفْعَهَا عميمًا... وفي هذه

الأيام ونحن نتذكر هذه الذكريات.. نتذكرها وقلوبنا تمتلئ إعظامًا وإكبارًا لسيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل وسيدنا محمد ولرسل الله كافة عليهم السلام؛ لما بذلوه من جهد وعناء ومشقة وابتلاءات في سبيل الدعوة إلى الله..

ومن المقاصد التربوية التي نتعلمها هنا أن كلا من الابتلاءين تعلق بحياة ابنه الوحيد برمتها، فالأول وضعه وهو رضيع في مكان موحش لا ماء فيه ولا غذاء ولا أمن ولا أمان، والثاني ما يتعلق بالذبح بعدما شب عن الطوق واشتد ساعده.. وهكذا فإن الابتلاءات التي تتعلق بالحياة ابتلاءات عظيمة، ولكن الخليل يثق في رحمة الجليل.. ويوقن أن ما شاء الله سيكون، وما لم يشأ لن يكون.. وهكذا يجب أن نعود إلى ربنا ونمتثل له؛ حتى يشملنا الجليل برحمته التي شملت الخليل وابنه عليهما السلام.

فقه الأضحية:

الأضحية نوع هدية وقربان يتودد بها المضحي إلى الرحمن.. فانظر أيها المضحي قدر المهدَى إليه، وقدِّم له الأطيبَ الأنضرَ، ولا يغيب عن ذهنك قوله تعالى: (لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) (الحج: ٣٧). كم يلحقك من الخجل أخي القارئ الكريم لو قدمت لرئيسك أو صديقك أو زميلك أو صهرك شيئًا معيبًا؟! فما بالك بما تقدمه لله؟! فلا أقل من أن تختار لربك، كما اخترت لصاحبك وصهرك. فاتق الله فيها، حتى لا تكون وسيلة طرد ومقت، بدلًا من أن تكون وسيلة حب وتقرب إلى الجليل جلا وعلا..!!.

وهكذا يجب أن نتحرى الدقة في أضاحينا، ونختار أفضلها وأجودها؛ فالذكر فيها أفضل من الأنثى، وأفضلها البيضاء، ثم الصفراء، ثم العفراء، ثم الحمراء، ثم السوداء. مع الأخذ في الاعتبار أنه لا تُجزئ عوراءٌ بَيِّنٌ عَوَرُها، ولا عرجاء بَيِّنٌ عرجُها، ولا مريضةٌ لا شحم لها، ولا مقطوعة الأذن أو مكسورة القرن.

ومن العجب أن تجد مَن يُضَحِّي بمقطوعة الأذن أو العمياء أو العرجاء أو العوراء، فهؤلاء لم تنعقد لهم أضحية.. كذلك الذين اشتروا لحمًا من الجزار، أو ذبحوا دجاجة أو أوزة.. أو غيرها مما لم يرد نص بإجزائه، أو الذين ذبحوا قبل وقت الوجوب، وهكذا يجب أن نلتزم شروط القربان..

وعن آدابها فيسن لمن أراد أن يضحي ألا يقلِّم أظافره ولا يقصَّ شيئا من شعره حتى يضحِّي. عن أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) قال: (إذا رَأَيْتُمْ هِلالَ ذِي الحِجَّةِ، وأَرادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ، فَلْيُمْسِكْ عن شَعْرِهِ وأَظْفارِهِ) (١٥).

ويُسن أن تذبح الأضحية بنفسك –إن كنت تحسن الذبح– وأنت تستقبل القبلة، ناويًا بها القرب إلى الله، وتحد شفرتك، وتُرح ذبيحتك.. والغنم تضجع على شقها الأيسر بيسر، ولا تُريها المُدْيَة "أي السكين".

وإذا كان مقام الإحسان من الغايات الكبرى التي يسعى المسلم لتحقيقها، فإن الله أراد أن يربينا ويدربنا من خلال الأضحية على أن يكون الإحسان منهج حياة..

فعَنْ أَبِي الأشعث، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (...إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شيءٍ...) وقال: (...وإِذَا ذَبَحْتُمْ فأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) (١٦) ويستحب أن تقول: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك وإليك فتقبله مني وأهلي، كما تقبلته من إبراهيم عليه السلام ومحمد (ﷺ). ويستحب –وليس واجبا– أن تقسم ثلاثًا: ثلث لبيتك، وثلث للصدقة، وثلث للهدايا.. ولا يجوز أن تكون أجرة ذبح الأضحية جزءا منها..

دروس من تضحية النبي (ﷺ) عن الفقراء:

أراد النبي (ﷺ) أن يجبر خاطر الفقراء والمساكين من أمته ممن لا يستطيع أن يضحي، فضحى عنهم إكراما لهم كما ضحى عن أهل بيته.

---

(١٥) أخرجه مسلم في صحيحه.

(١٦) أخرجه مسلم في صحيحه.

فعن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال: (ضحَّى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بكبشينِ أقرنينِ أمْلَحَيْنِ أحدِهما عنه وعن أهل بيتِه والآخر عنه وعن من لم يضحّ من أمتِهِ) (١٧).

وفي صنيع النبي (ﷺ)، دروس ومقاصد تربوية من بينها: تعليم أمته من بعده معاني التضحية، وجبر الخاطر، والإيثار، وإشاعة معاني المساواة، وأن تتسع معالم الرحمة والتكافل في المجتمع لتشمل شتى الجوانب المادية والمعنوية؛ لينعم مجتمع الإيمان بمنظومة القيم البانية التي من شأنها تحقيق المجتمع الصالح.

من مظاهر تكريم الله للأضحية:

ومن مظاهر تكريم الله للأضحية ما يلى:

- أنها ارتبطت بـ: نبيين كبيرين هما: (أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم)، و (أبو العرب سيدنا إسماعيل) عليهما السلام..
- أن الله تعالى رتب على فعلها أجرا عظيما وحث النبي (ﷺ) على فعلها ورغَّب فيها.
- أن الله عز وجل اختار لها أربعة أيام من أفضل أيام العام (عيد الأضحى وأيام التشريق الثلاثة).

أنها تأتي عقب عبادة وبعد أيام عظَّم الله فيها أجر العبادة وهى العشر الأوائل من ذي الحجة، يقول النبي (ﷺ): (ما مِن أيَّامٍ العملُ الصَّالحُ فيها أحبُّ إلى اللَّهِ من هذِهِ الأيَّامِ يعنى أيَّامَ العشر). قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، ولا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ ؟ قالَ (ﷺ): (ولا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ، إلَّا رَجلٌ خرجَ بنفسِهِ ومالِهِ، فلم يرجِعْ من ذلِكَ بشيءٍ) (١٨).

- مقاصد تربوية:

إذا كانت التربية عبر العصور تستهدف بناء الإنسان الصالح النافع لنفسه ولوطنه وللإنسانية؛ فإن الأضحية بكل معانيها ومقاصدها الإيمانية والتربوية تسهم في تربية الإنسان الصالح والمجتمع المتصالح المتكافل المترابط المتعاون...

ونشير فيما يلى إلى عدد من من المقاصد التربوية للأضحية:

- الرحمة والإحسان بالحيوان الأعجم، ممثلا في الذبيحة، وتتجلى في طريقة ذبح الأضحية ومعاملتها برفق ورحمة، كما علمنا رسولنا (ﷺ)، بأن نحد شفرتنا، ونُريح ذبيحتنا، ولا نُريها المُدْيَة "أي السكين"، حيث قَالَ: (...وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) (١٩).
- الرحمة والإحسان إلى كل إنسان: وإذا كنا مأمورين بالرحمة والإحسان إلى الأضحية، فمن باب الأولى أن نكون رحماء ببعضنا البعض وبأنفسنا وبكل الناس.
- الرحمة والإحسان بالفقراء والضعفاء: فيجب علينا أن نحنوا على الضعفاء وأصحاب العاهات، وذوي الاحتياجات الخاصة وتلبية حوائجهم، وتحصيل البركة بدعائهم، وإدخال السرور عليهم فعن النعمان بن بشير (رضى الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: (مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى) (٢٠).
- الرحمة والإحسان إلى الأطفال: بإدخال البهجة على الأطفال بشتى الوسائل الترفيه المباحة شرعًا؛ حتى يعم الفرحُ والسرورُ، دون ضرر ولا ضرار.
- الرحمة والإحسان إلى الطبيعة، فيجب علينا أن نكون رحماء ورفقاء بشتى مفردات الطبيعة والكون (إنسان– حيوان – نبات – حتى الجماد)، ومن ثم يجب أن نأخذ كل الاحتياطات والاحترازات الصحية التي تعلنها

(١٧) أخرجه ابن ماجه (٣١٢٢)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (١٨٩١) واللفظ له، والدارقطني، أخرجه الهيثمي في معجم الزوائد بإسناد حسن.
(١٨) أخرجه أبو داود واللفظ له، وأخرجه البخاري باختلاف يسير
(١٩) أخرجه مسلم في صحيحه.
(٢٠) أخرجه مسلم في صحيحه.

الجهات المعنية عن معايير وطرق وآليات وإجراءات ذبح الأضحية، وتطبيقها بمنتهى الدقة والأمانة، حفاظا على المواطنين، وحتى لا تكون وسيلة لنقل العدوى بدلا من أن تكون وسيلة للسعادة والإسعاد.

- استثمار شعيرة الأضحية لتعليم أولادنا ثقافة التضحية والعطاء والبذل والحنو على الفقراء والضعفاء ومن ثم غرس ثقافة الحب في قلوبهم وفي قلب المجتمع.

وفي هذا الوقت الحرج من تاريخ العالم أدعو الأثرياء إلى التوسع في أضاحيهم، وبذل معظمها للفقراء والجائعين وغيرهم من الضعفاء والمساكين.. ونشر ثقافة التكافل الاجتماعي والسخاء وبذل الصدقات والهدايا، وإطعام الطعام، يقول النبي (ﷺ): (يا أيُّها النَّاسُ أفشوا السَّلامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ، والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ) (٢١). ولنعلم أن العطاء والسخاء وقت شدة الفقر والجوع والعوز والحاجة أكثر ثوابا وأرجى قبولا، ورافعا لدرجات العبد يوم القيامة.. فطيبوا بها نفسًا وأخلصوها لله رب العالمين. وكل عام وحضراتكم بألف خير.

***

وقبل أن أن يتوقف القلم وأغادر الحديث عن هذا الموضوع المبارك أوصيكم يا عباد الرحمن ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وإفشاء السلام، وإطعام الفقراء والضعفاء، وجبر الخواطر، وبذل الصدقة (إنَّ الصَّدقةَ لتطفئُ غضبَ الرَّبِّ وتدفعُ ميتةَ السُّوءِ) (٢٢).

، وإصلاح ذات البين، والعفو عن المسيء، والتنفيس عن المعسرين، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (مَن نَفَّسَ عن مُسلِمٍ كُرْبةً من كُرَبِ الدُّنيا، نَفَّسَ اللهُ عنه كُرْبةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ، ومَن يسَّرَ على مُعسِرٍ، يسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخِرةِ، ومَن سَتَرَ على مُسلِمٍ، سَتَرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخِرةِ، واللهُ في عَونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عَونِ أخيه) (٢٣). ويقول النبي (ﷺ): (ما آمَنَ بِي مَن بات شَبْعانًا وجارُه جائِعٌ إلى جَنبِه وهو يعلَمُ) (٢٤).

الانتحار يأس من رحمة اللّه

حِفظُ النفس من المقاصدِ العُليا للشريعةِ الإسلاميةِ، وقتلُ النفس بغير حقّ من أكبر الكبائر؛ لذلك حرَّم الإسلام الانتحار تحريمًا قاطعًا، وعدَّه من الكبائر العظيمة التي تُغضب الله تعالى، لما فيه من التعدي على النفس التي كرَّمها الله وجعل لها حرمة عظيمة.

قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) (النساء: ٢٩).

- فالإنسان لا يملك جسده ولا روحه حتى يتصرف فيهما كيف يشاء.
- بل هو مُؤتمن عليهما ومأمور بصيانتهما.
- ومُحاسب على التفريط فيهما.

وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي (ﷺ) أنه قال: (مَن تَرَدَّى من جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهو في نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فيه خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ في يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ في يَدِهِ يَجَأُ بِهَا في بَطْنِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا) (٢٥).

، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم حريصًا على زجر المسلم عن قتل نفسه.

وفي هذا الحديثِ يروي أبو هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ (ﷺ) أنه قال:

---

(٢١) أخرجه ابن ماجة

(٢٢) أخرجه الترمذي واللفظ له، وابن حبان، وأبو نعيم في (تاريخ أصبهان) باختلاف يسير.

(٢٣) أخرجه أبو داود في سننه بإسناد صحيح، أخرجه مسلم مطولاً باختلاف يسير

(٢٤) خرجه البزار كما في (مجمع الزوائد) للهيثمي، والطبراني، وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب – إسناده حسن.

(٢٥) أخرجه البخاري في صحيحه.

(مَن تَرَدَّى مِن جَبَل) أي: وقع من فوقِه متعمدًا فمات، فهو في نار جهنمَ يتردى فيها خالدًا مخلدًا أبدًا؛ جزاءً وفاقًا لعملِه.

(وَمَن تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ) أي: تجرع أو شرب (سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ) أي: تعمدَ ذلك، فسُمُّه في يدِه يتعاطاه ويتجرعُه في نار جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا.

(وَمَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ) أي: طعنَ نفسَه بسلاح أو غيره، فحديدتُه في يدِه يطعنُ بها في بطنِه في نار جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا.

وقولُه: (خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا) محمولٌ على من فعل ذلك مستحلًّا له مع علمِه بالتحريم، أو على أنه يعنى طولَ المدَّةِ والإقامةِ التى يُخلَّد فيها قاتلُ نفسِه إن أُنفذ عليه الوعيدُ، ولا يعنى خلودَ الدوامِ؛ إذ قتلُ النفس – دونَ استحلالِ لذلك – هو ذنبٌ وكبيرةٌ من الكبائر، وليس كفرًا مخرجًا من الملةِ، وفي الحديثِ: الوعيدُ الشديدُ لمن قتلَ نفسَه، وفيه: أن نفسَ العبدِ ليست ملكًا له؛ فليس له أن يتصرَّفَ فيها بغيرِ إذنِ مالكِها سبحانه وتعالى.

وبيان خطورة الانتحار وعاقبته الأليمة، فهو لا يخلّص المنتحر من همومه، بل يوقعه في عذاب أشد وأطول (٢٦).

رحمة الله

ومن رحمة الإسلام بعباده أنه فتح أبواب الأمل والتوبة دومًا، وأرشد من ضاقت به الدنيا إلى الصبر والاحتساب واللجوء إلى الله، فقال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة: ١٥٥-١٥٧). وقال تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (الشرح: ٥-٦). فما من شدة إلا ويتبعها فرج، وما من ضيق إلا وله مخرج، ومن توكَّل على الله كفاه، ومن استعان به أعانه. يقول النبي (ﷺ): (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإِنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكانَ خَيْرًا له)(٢٧).

ونقول لكل مُبتلى، ولكل إنسان دخل في غمار الحياة، وتحدياتها، ومشكلاتها، تذكر دائما هذه الكلمات:

لا تخف من أي شيء روعـك		كن مع اللهِ يكن ربي معـــك
وإذا نابك كـــربٌ فاصطبـر		وادع مولاك وجفف أدمُعـــك
ما لنـــــا إلا إلهٌ واحـدٌ		فاسأل الكون وقل مَن أبدعـك
واسأل الحمل جنينا في الحشى		مَن رعاك الآن مَن ذا أشبعـك
واسأل البدر مضيئا في الدجى		باعثـــا أنـواره ما أروعـــك
واسأل الشطآن عن أمواجها		واسأل البحر أتدري منبعـــك
واسأل الصبح تجلى مسفـــرًا		بعد ليل حالك مـــن أطلعك
سل رسول الله قل يا مصطفى		يا شفيع الخلق من قد شفعـك
إنـــــــه ربي إلـــه واحد		كن مع الله يكن ربي معـك(٢٨)

قصة الغزالة التي أحاطها الموت من كل مكان فأدركها الله بعنايته

- رسالة لكل من ضاقت عليه السبل - علمتني غزالة - قصة تربوية ملهمة

(٢٦) الدرر السنية – شرح الحديث– بتصرف.

(٢٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢٨) من قصيدة للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم، ألقها في المجلس الثالث من شرح (كتاب صحيح الإمام مسلم) بالرواق الأزهري بالجامع الأزهر الشريف، ٣ جمادى الأولى ١٤٤٠هـ/ ٥ فبراير ٢٠١٩م

دعوني أقص هذه القصة البديعة، التي قد تكون واقعية أو رمزية أو خيالية، لكنها تمثّل واقعًا كثيرًا ما نمرّ به في حياتنا. تُعَلِّمُنا فيها غزالة كيف يكون التوكل الحق، وكيف تُصنع المعجزات حين نُسلِم الأمر لله.

إنها قصة تُجسد معنى التوكل على الله، والثقة بتدبيره، والثبات عند المحن، وتُقدّم درسًا بليغًا في تواتر رحمات الله وعنايته التي لا تنقطع.

في عمق الغابة، كانت هناك غزالة حامل، اقترب موعد ولادتها، فذهبت إلى مكان ناءٍ في أطراف الغابة، قرب نهر هادئ، تبحث عن مأوى آمن لتلد فيه.

لكن... وبينما هي تتأهّب للولادة، بدأت السماء ترعد وتبرق، واندلع حريق كبير في الغابة بسبب البرق، والنار بدأت تزحف نحوها!

- نظرت عن شمالها... فإذا بصياد يوجّه إليها سهماً يريد أن يقتلها.
- نظرت عن يمينها... فإذا بأسد جائع يقترب منها ليفترسها.
- النار خلفها... تلتهم الأشجار بسرعة وتقترب منها.
- أما أمامها... فلا يوجد إلا النهر العميق الذي إن هربت إليه، فإنها ستغرق حتما.

لقد أُحيطت بالمخاطر من كل جانب... وليس لها مفر!

فكرت الغزالة في لحظة سريعة:

١- إن ركضت، افترسها الأسد.

٢- وإن ثبتت، قتلها الصياد.

٣- وإن قفزت، أغرقتها المياه.

٤- وإن ترددت، أحرقتها النيران!

يا الله يا الله يا الله

فماذا فعلت؟

لم تصرخ، ولم تنهار، ولم تتوقف... بل فعلت ما تستطيع فعله:

ركّزت على الولادة، وأوكلت ما لا تملك أمره إلى الله...

وهنا أدركتها عناية الله...

فانظروا إلى تدبير الله!

- البرق أعمى الصياد، فاختل تصويبه.
- فانطلق السهم فأصاب الأسد الجائع فخرّ ميتًا.
- وهطلت أمطار غزيرة، فأطفأت النيران التي كانت تقترب.
- وولدت الغزالة صغيرها بسلام، وعاشت بعد أن كانت ترى الموت من كل الجهات!

تأملوا! كم مرة كنّا في مثل حال هذه الغزالة؟

مواقف نحسب أنه لا مخرج منها، وأن الخطر يُحيط بنا من كل صوب...

لكننا إن فعلنا ما نستطيع، وثبتنا على ما نقدر، وأوكلنا ما لا حيلة لنا فيه إلى الله، جاءنا الفرج من حيث لا نحتسب. قال الله تعالى: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (الطلاق: ٢-٣). فيا من ضاقت عليه السبل... ويا من حاصره الخوف والقلق والهموم... قل: "يا رب، عندي همّ كبير"، ففرجه يا رب العالمين.

ومن هذه القصة التربوية الملهمة نتعلم:

-معاني التوكل الحقيقي.

-ترتيب الأولويات.

-الفرج سيأتي حتما.
-الفرح يأتي مع الفرج.
-غلاوة النفس والأولاد والذرية.
-وأيضا نتعلم معاني التضحية من أجل الأولاد.
-وأن مَن أحسن الظن بالله، لا يخيب أبدًا.
-وأن الثبات في الشدة مفتاح كل نجاة.
-وأن الخوف لا يغيّر القدر، لكن الإيمان يُغيّرنا.
-وأن الفزع يضلّ الطريق، والتوكل يهدي السبيل.
-وأن صبر لحظة في الشدة، فيه خير كثير.
-وأنه مع كل عُسر، يُولد يُسر.
-وأن من حافظ على الأمانة وحافظ الله في صغره، حفِظه الله بعينه التى لا تنام (احفظ الله يحفظك).
والله يدبّر ما لا نراه، ويرتب ما لا ندركه، ومن توكل على الله كفاه، ومن احتمى به نجاه...
وبالله تعالى التوفيق
***

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت.... واصرف عنّا سيئها لا يصرف سيئها إلاّ أنت.... اللهم فقّهنا في ديننا وبصّرنا بعيوبنا..... وارزقنا الثبات واليقين.... اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا واحفظنا مِن بين أيدينا ومِن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومِن فوقنا ونعوذ بعظمتك أنْ نُغتال مِن تحتنا....
.. اللهم أصلحنا وأصلح لنا أزواجنا... وأصلح أبناءنا وبناتنا.. اللهم اهدنا سُبُل السلام وأخرجنا مِن الظلمات إلى النور... وجنبنا الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن يارب العالمين.. اللهم أصلح بيوتنا، وبارك في أزواجنا، وارزق شبابنا الزواج الحلال، واحفظ بناتنا من التأخر والعنوسة، واهدِ كل زوجين إلى التراحم والمودة والسكن. اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..وأقم الصلاة.

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)
المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

يُرجي من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(الدكتور أحمد علي سليمان)؛ لمتابعة كل جديد https://www.facebook.com/drahmedalisoliman/